

الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض،
وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام
على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،
وبعد:

فقد شهدت كتب التاريخ والسير أن الصحابة
- رضي الله عنهم - عاشوا أعلى مراتب النصر
والتأييد ، ومن العجيب أن هذا النصر وذلك
التأييد ما كان في ميدان دون ميدان ، وإنما في
كل الأوقات، وكل الميادين.

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس
الأمارة بالسوء فاجمعوها بلجام الاستقامة
والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى
الله إن هي تمردت على هذا اللجام.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في
أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا
العدو في أقصر وقت ، وباقل التكليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان
الجن القاعد لهم بكل طريق ، والمتربص بهم
الدوائر، فلم يسمعوأ لوساوسه وإغراءاته،
ولم يعباوا بكيديه ، وعاشوا هذا النصر وذلك
التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها،
فلم تفتنهم ، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم.
وهكذا كان النصر حليفهم ، وكان التأييد
حظهم أينما حلوا وكيفما حلوا .

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء
الأصحاب في كل وقت وفي كل ميدان إنما هو
الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي
إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله
لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة ، فإنه
سبحانه لا يحابي ولا يجامل ، وإنما كان
بسبب من هؤلاء فقد تحلى هؤلاء بطائفة من
الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر
عليهم ، والتأييد لهم من ربهم ، وتبقى هذه
الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سبباً
في حصول النصر والتأييد من الله شريطة
الالتزام والتحلي بها، [من أخلاق النصر
في جيل الصحابة » (ص ٩ - ١٠)].

وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهلت
الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية
على سبيل الاختصار لا الحصر.

١- تعظيمهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله
صلى الله عليه وسلم:

المؤهلات التي

أهلت الصحابة

رضي الله عنهم

لقيادة البشرية

د. أحمد فريد

إعداد



كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم عملاً يقول الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» [الأنفال ٢٠]، وقوله عز وجل: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا».

فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتاه زيد بن حارثة وحين يفاتحها في ذلك تأبى، وتقول: لست بناكحتك، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل فأنكحيه» قالت: يا رسول الله، أشاور نفسي؟ فبينما هما يتحدثان، إذا بالقرآن ينزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»، فتقول: قد رضيت لي يا رسول الله منكحاً؛ فيقول: «نعم» فتقول إذن: لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أنكحتك نفسي» [تفسير الطبري] (٩/٢ - ١٠).

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أحد، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وآلام؛ تعظيماً لأمر الله عز وجل، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وسجل الله عز وجل لهم هذا الموقف في كتابه الخالد وأنزل فيهم قوله: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٧﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دَارِهِمْ فَمِنْ هَذَا يُحَدِّثُكَ الْبَاقُونَ وَكَاتِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» [آل عمران ١٧٢ - ١٧٤].

٢- صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم

وقد وصف الله عز وجل المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى: «لِلْفَقَرِ الْهَدَجُ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحشر: ٨]، ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا» [الأحزاب: ٢٣].

عن أنس رضي الله عنه قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون. قال: اللهم إني أعتر إليك مما صنع هؤلاء - يعني الصحابة -، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» [الأحزاب: ٢٣]. [رواه البخاري (٢٨٠٦)، ومسلم (١٩٠٣)].

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فامتن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: «ما على هذا اتبعك، ولكن اتبعك على أن أرميها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فاموت فادخل الجنة»، فقال: «إن تصدق الله بصدقك». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقته».

ثم كَفَنَهُ النبي صلى الله عليه وسلم في جيبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك». [رواه النسائي (١٩٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٨٤٥)].

٣- زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة

والزهد: هو الرغبة عن الشيء؛ لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال

رأي العين ، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء». [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص: ١٣٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ». قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال « نعم ». قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها ». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر . ثم قاتلهم حتى قتل . [رواه مسلم (١٩٠١)].

وعن أبي بكرة بن أبي موسى الأشعري قال : « سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ». فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال : نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل ». [رواه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٧٤٢، ١٩٠٢)].

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم ، وأحاط بهم الصحابة ، فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم في الحديقة . فاحتملوه فوق الجحف ، ورفعوها بالرماح حتى ألغوه عليهم من فوق سورها . فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها يقتلون من فيها من المرتدة ، من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة - لعنه الله-.

قال الذهبي: « بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة فاقتحم عليهم ، وشد عليهم ، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة . فخرج يومئذ بضعة وثمانين جرحاً ، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جراحه ». [سير أعلام النبلاء (١٩٦/١)].

اللهم ارض عن صحابة نبينا وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

تعالى: « قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا » [النساء: ٧٧]. وإنما سبق الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينهم بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية.

قال عبد الله بن مسعود للتابعين : « لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا خيراً منكم ، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ».

فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين وصدق التوكل على الله عز وجل ، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهله في شهرين ولا يوقد في بيت من بيوته نار . [رواه البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢)].

وعن أبي بكرة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله في هذين »، وقالت عائشة رضي الله عنها: « إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدماً حشوه ليف » [رواه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢)].

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه فعن أنس رضي الله عنه قال : « رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث ، لبد بعضها على بعض ».

وعن عروة قال : « دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فإذا هو مضجع على طنفسة رحله ، متوسد الحقيبة ، فقال له عمر : ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

فقال : يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقييل ».

وقال معمر في حديثه « لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض ، فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة . قالوا : الآن ياتيك . فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ». [حلية الأولياء (١٠١/١)].

٤- شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

قال أبو الحسن الندوي: « ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة ، وحنينا غربياً إلى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة ، تمتلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها